العرب
الجمعة 2020/02/28
السنة 42 العدد 11631

14 يوما إجازة

علي الصراف
كاتب عراقي

الشيء المفيد في فايروس كورونا هو أنه يمنحك 14 يوما إجازة. وليس هذا فحسب، فهو يتيح لك عزلة تامة تستطيع أن تستنفدها في التأمل أو التفكير أو القراءة أو التخطيط للمستقبل، من دون أن ينغص عليك أحد.

في الواقع، فإن الإصابة، أو ادّعاءها، سوف يكفي ليجعل كل من هم في محيطك يبتعدون عنك. كما أنك سوف تُحاط من جميع الاتجاهات بحماية مطلقة، ويتوفر لك من أساسيات ما قد تحتاج، ما لا عناء فيه، لأنه سيأتيك في الغالب على طبق مغلق؛ شيء يشبه أن تحصل على طعامك على طبق من ذهب.

بعض الحكومات ربما تقرر أن تمنحك غرفة في فندق، مجهزة بكل شيء. والمدهش هو أنك لن تدفع شيئا لقاء هذه الخدمة. ولسوف تحاط بكمامات، الأمر الذي يُنجيك من روائح الثوم والبصل التي يستهلكها بعض المقربين منك بإفراط، وكأن يوم القيامة سوف يأتي غدا.

كورونا فايروس. والفايروسات لا علاج لها حتى الآن على الأقل. ونحن نعاني منها منذ 100 ألف سنة. مات بسببها الكثيرون، ولكن البشرية ظلت باقية. يذهب الضعيف ويبقى القادر على المقاومة

ولا شك أن لديك الكثير مما يتوجب أن تبحثه مع نفسك. فطالما أن كورونا لن يؤثر على قدرتك على التفكير، فإنها سوف تكون "فرصة العمر" لكي تحسم ما لم تجد وقتا لحسمه.

14 يوما لن تكفي لقراءة كل الكتب المؤجلة، ولكنك في عزلتك التامة، سوف تستطيع أن تقرأ 200 صفحة على الأقل كل يوم. ولسوف تخرج من ذلك أغنى نضجا وأوسع فكرا وأعمق تجربة، وذلك بما أنك تعرفت من خلال ما قرأت على ما كان ينقص عالمك. ولو اقتصر الأمر على بعض الروايات المهمة، فإنك سوف تتعرف على حيوات إنسانية ما كانت لتمر عليك بينما أنت في دوامة الذهاب والإياب بين البيت والعمل.

لو كنتُ رئيس بلدية في أي مدينة في إيطاليا، لطلبت من كل مواطنيها أن يتزودوا بما يكفي لحاجاتهم الأساسية، وأن يتمتعوا بإجازة مطلقة، كلٌ في غرفته الخاصة، لمدة 14 يوما، حتى لتخلو الشوارع إلا من سيارات الإسعاف والقليل من رجال الشرطة. وخلال فترة العزل هذه، فإن البلدة برمتها سوف تشفى، أو يموت في حجرته من كان مقدرا له أن يرحل. وتنتهي القصة. ولو توسعت الأمور فقد يستطيع الرئيس الإيطالي، سيرجيو ماتاريلا، أن يمنح شعبه إجازة. الإيطاليون شعب مرح ويحب الإجازات. و14 يوما لن تترك إلا أثرا محدودا على الناتج الإجمالي، كما أنها سوف تكون فرصة لعدم سماع أي أخبار تمغص المعدة، وتنكد العيش، عن ماتيو سالفيني.

نحن مرحون أيضا. ونحب الإجازات. صحيح أننا نتضايق عندما يكون الشيء إجباريا، ولكن بوسع كل إنسان أن يتكيف ويستثمر حتى في ما قد يُجبر عليه. نحن مجبرون على 90 في المئة من الأشياء في حياتنا. ولا توجد مشكلة في أن تضاف إليها إجازة.

الأفضل طبعا أن تقضي الإجازة في جزر الكناري. ولكن ها أنت ترى، فإنها تحترق، مثلها مثل أستراليا، بسبب التغير المناخي. وإذا كنت من محبي الريف في بريطانيا، فإنه يغرق. جزر اليونان ربما تكون أفضل، إلا أنها تغص بالباحثين عن حياة، حتى ولو من دون إجازة. والرحلة إلى ألمانيا، كانت ستكون ممتعة لو لم يكن هناك يمين متطرف.

كورونا فايروس. والفايروسات لا علاج لها حتى الآن على الأقل. ونحن نعاني منها منذ 100 ألف سنة. مات بسببها الكثيرون، ولكن البشرية ظلت باقية. يذهب الضعيف ويبقى القادر على المقاومة. وتلك سنة من سنن الحياة. وما من أحد يعيش إلى الأبد. معدلات الوفيات بكورونا لا تزال محدودة للغاية على أي حال. أقل من 1 في المئة بكثير. فهناك نحو 80 ألف مصاب حول العالم توفي منهم نحو 2700 فقط. بينما توفيت أكثر من 46 ألف امرأة خلال الوضع هذا العام، وهناك أكثر من 1.25 مليون وفاة بالسرطان، و41 مليون مصاب بمرض الإيدز، و148 ألف وفاة بسبب الملاريا، و378 ألف وفاة بسبب الكحول، و204 آلاف وفاة بسبب حوادث الطرق، و757 ألف وفاة بسبب التدخين، و162 ألف عملية انتحار، و6.5 مليون عملية إجهاض. وبينما هناك أكثر من 750 ألف إنسان يعاني من الإفراط في السمنة، فقد توفي هذا العام أكثر من 1.5 مليون إنسان من الجوع. وهناك 127 ألف إنسان مات هذا العام بأمراض تتعلق بتلوث المياه.

نحن نعيش في عالم مُرهَق بالمتاعب. ونحن من أرهقه، وأرهقنا أنفسنا فيه.

الكرة الأرضية كلها بحاجة إلى إجازة مما نفعله بها. و14 يوما لن تؤدي إلى انخفاض كبير في مستويات التلوث، إلا أنها تنفع. فحتى الآن، فقدت الأرض أكثر من 788 ألف هكتار من الغابات هذا العام، وأطلقت البشرية نحو مليون ونصف المليون طن من الكيميائيات السامة، وخمسة مليارات ونصف المليار طن من غازات الدفيئة. وهناك 1.8 مليون هكتار تعرضت للتصحر.

الأرض كلها بحاجة إلى إجازة. إنها تصرخ من شدة التعب.

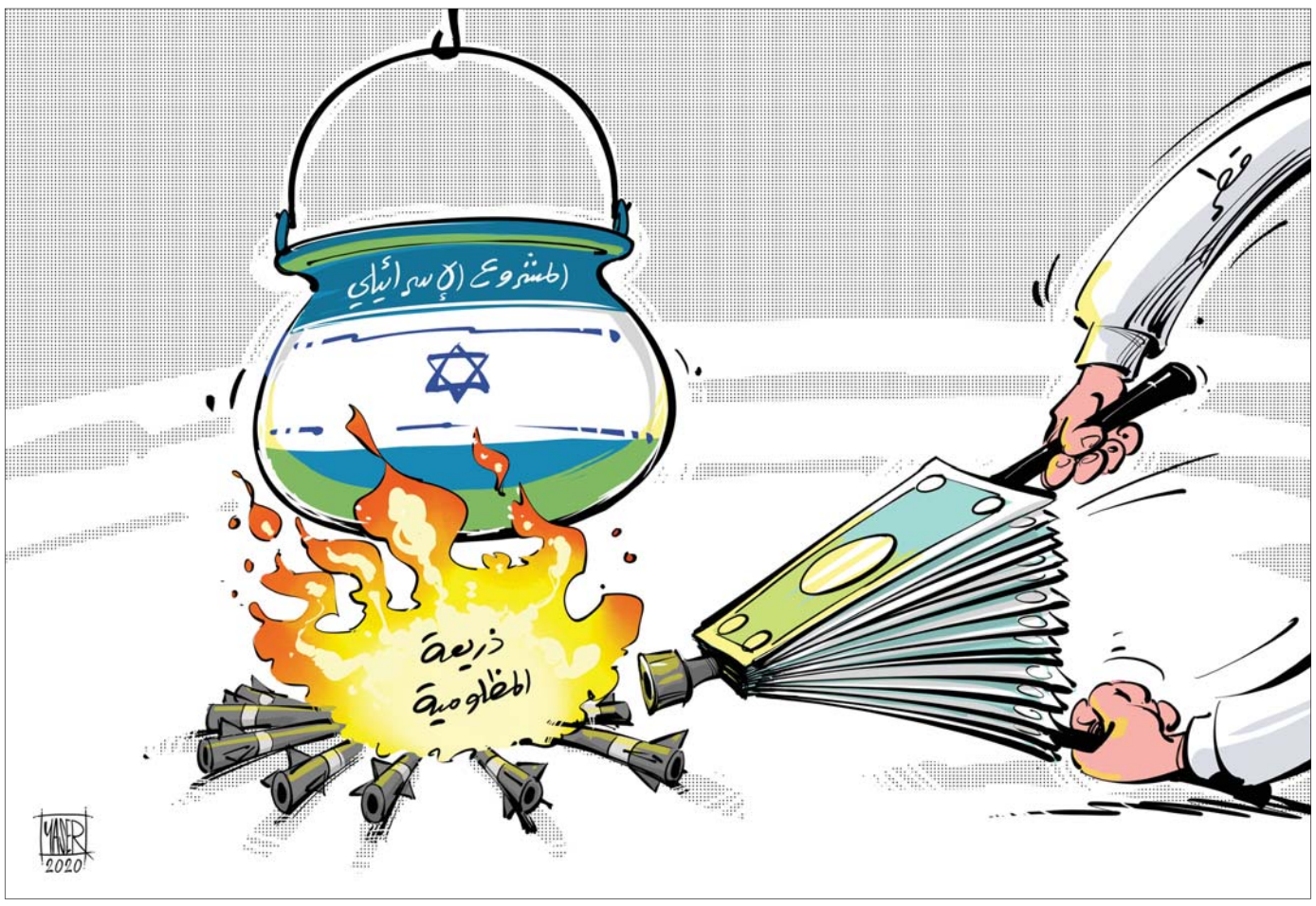

إسرائيل تمول حماس عبر قطر.. خبر ممل!

محمد قواص
كاتب سياسي لبناني

في عزّ الحرب العراقية الإيرانية نشرت مجلة الشراع اللبنانية ما فَجّر حينها ما عُرف بفضيحة الـ"إيران غيت". والمسألة بسيطة في تفاصيلها، ذلك أن تواطؤا أميركيا نقل سلاحا إسرائيليا إلى الجانب الإيراني لدعم جهود الجمهورية الإسلامية العسكرية ضد العراق في عهد الرئيس الراحل صدام حسين. أطاحت الفضيحة برؤوس في الولايات المتحدة (أشهرها أوليفر نورث) لكنها لم تُسْقط رمشا في جمهورية روح الله الخميني، ولم نسمع لاحقا عن أي محاسبة تاريخية، حتى في سياق تبريري أو ماكيافيلي يفسر اللجوء إلى الشياطين لقهر ما اعتبرته جمهورية الولي الفقيه شيطانا يحكم في بغداد.

الأمر يتمّ، عادة، عبر قنوات مخابراتية لا تهتم للأخلاق والفقه والأيديولوجيا. والظاهر أن جهاز الـ"سافاك" الذي كان يعمل في خدمة شاه إيران الراحل ويملك قنوات إسرائيلية أميركية بقي يعمل، بقنواته تلك، بمسمى آخر، في خدمة مرشدها الأول ويعمل، بنفس القنوات، في خدمة مرشدها الحالي.

القنوات تلك لا تُسدّ ولا تفقد وجاهتها حتى في أعتى المواجهات بين الدول. وكثيرا ما تمّ الحديث عن قنوات إسرائيلية بقيت مفتوحة، عبر وسطاء وواجهات مختلفة، مع هذا البلد العربي (خصوصا الراديكالي) أو ذاك، أو هذا التنظيم الثوري الفلسطيني أو ذاك (هل من حاجة للتذكير بتنظيم أبونضال الذي أرسل من قتل عام 1983 المسؤول الفلسطيني عصام السرطاوي في نفس الفندق الذي كان يستضيف في نفس الوقت شمعون بيريز في لشبونة).

والكشف عن تلك القناة الإسرائيلية القديمة الجديدة مع قطر لتناول شؤون حماس وأخواتها ليس خارج السياق السابق، ناهيك عن قنوات تواصل مباشر نشطت بين إسرائيل وتنظيمات الأمر الواقع في قطاع غزة تحت مسوّغ إدارة يوميات أهل القطاع، وبين إسرائيل والسلطة الفلسطينية وأجهزتها تحت مسوّغ التنسيق الأمني الذي تفرضه اتفاقات أوسلو.

وعلى هذا يصبح مملا ما أراد أفيغدور ليبرمان زعيم حزب "إسرائيل بيتنا" أن يفجّره في وجه رئيس الحكومة الإسرائيلية المرشح بنيامين نتنياهو. قال في إطار المماحكة المرتبطة بالانتخابات التشريعية إن رئيس الموساد يوسي كوهين وقائد القيادة الجنوبية للجيش الإسرائيلي الجنرال هرتزي هاليفي قاما قبل أسبوعين بزيارة لقطر بتكليف من نتنياهو، وطلبا من القطريين أن يواصلوا تقديم الأموال لحماس بعد 30 مارس، مضيفا أن القطريين كانوا يعتزمون وقف التمويل في ذلك التاريخ.

لإسرائيل مآربها وللممانعين، دولا وجماعات، مآرب أخرى. على هذا تصبح للتواصل مع إسرائيل مسالك تخضع لوجهات النظر، فهو إن جرى مع ذاك فهو تطبيع مدان، وإن جرى مع هذا فهو في خدمة "القضية" وأدواتها. وعلى هذا يصبح ما هو نبيل وتاريخي وسام في الصراع الحضاري مع إسرائيل، مجرد تكتيكات انتهازية لخدمة السياسة بمعناها اللاأخلاقي بما هي فن دوام السلطة وفناء أعدائها.

جرى أن إسرائيل تبادلت الخدمات مع إيران منذ قيام جمهوريتها الإسلامية. تحتاج إسرائيل إلى تعظيم عدو يهدد وجودها فتبرع بالتسويق لمظلومية تبرر وجودها منذ الهولوكست الشهير. أزال الرئيس الإيراني الأسبق، محمود أحمدي نجاد، إسرائيل عن الخارطة عدة مرات أثناء ولايتيه، ورماها العرب قبل ذلك في البحر مرارا. لا يهم. سيكتشف الإيرانيون هذه الأيام، وفق قائد الحرس الثوري الإيراني حسين سلامي أن "الظروف مازالت غير ملائمة لإزالة إسرائيل"، فيما لم يعد العرب، بفلسطينييهم، وحتى بحماسهم وجهادهم، يَعِدون بذلك.

باتت "المقاومة" حاجة لأمن إسرائيل الاستراتيجي. في المعادلة السريالية تلك تناقض بنيوي وربما بيولوجي تكويني. لكن إسرائيل وحدها استطاعت تطويع "المقاومة" التي أطلقها أعداؤها والتعامل مع المقاومين بصفتهم مخربين تارة، وإرهابيين تارة أخرى، وشركاء في السلم والتنسيق الأمني طورا.

استطاعت إسرائيل وحدها أن تنفخ "مقاومة" حماس وأباحت لها الترعرع تحت أنظارها والظهور يوما للإطاحة بـ"مقاومة" فتح. قيل الكثير عن نظرية المؤامرة تلك، لكن بالنهاية أفضى الأمر إلى تفتيت مفرط أحال الفلسطينيين شتاتا حتى داخل أرضهم التاريخية، ينتشرون فوقها كمواطنين (من الدرجة الثانية) في إسرائيل، أو محشورين تحت سقف السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وتحت سقف "المقاومة" بتلاوينها في قطاع غزة، فيما آخرون ينتظرون بعيدا، بعضهم داخل مخيمات، وعود العودة، التي لا تأتي.

بات الفلسطينيون، شاؤوا أم أبوا، متكدسين داخل خندق واحد تقرر إسرائيل وجهته ومسار خرائطه.

لإسرائيل مآربها وللممانعين، دولا وجماعات، مآرب أخرى. على هذا تصبح للتواصل مسالك تخضع لوجهات النظر، فهو إن جرى مع ذاك فهو تطبيع مدان، وإن جرى مع هذا فهو في خدمة «القضية» وأدواتها

بات مطلوبا من غزة أن تقذف حممها على إسرائيل وفق إيقاعات تتقرر في إسرائيل بضمان استمرار التمويل القطري.

وبات مطلوبا من الدوحة أن تدلي بدلوها داخل المياه التي يصبّها الأميركيون لتسويق صفقة القرن.

وبات مطلوبا من طهران أن تسهر على جهود دعم "صمود الشعب الفلسطيني" دون أن يصدر عنها وعن أحزابها ما يفهم منه إدانة لمستويات "التطبيع مع العدو"، ودون أن يصدر حتى عن نظام دمشق انتقاد لحماس على ما تقترفه من رجس، سواء في تلقيها تمويلا من قطر، أو في أن يمرَّر ذلك بضغط إسرائيلي ومن خلال القنوات الإسرائيلية.

أتاحت إسرائيل لحماس النشوء والتطور لعل في البديل الإسلامي لمقاومة الفلسطينيين ما يطيح بمقاومتهم الوطنية التي دقت أبواب العالم. كانت تلك الفكرة تدور في ذهن إسرائيل الخبيث. قيل إن إسحق رابين كان يحلم أن يستفيق يوما ليجد أن غزة قد غرقت في البحر. لم تغرق غزة لكنها باتت إمارة انفصلت عن الضفة، وبالتالي عن دولة فلسطين الموعودة، بحيث فقدت سلطة أوسلو أحد أجنحتها. والظاهر أن ذلك السياق مازال مطلوبا ويحتاج إلى ممول موثوق يؤمّن ديمومة الانقسام، وديمومة أن تبقى غزة "تقاوم" كرمى لمرامي كبرى لإسرائيل تستدعي إرسال رئيس الموساد ورفيقه.

يستمر التواصل بين "مقاومة" حماس مع إسرائيل، كما تواصلت "مقاومة" إيران مع إسرائيل. الوسيط القطري مخلص لوظائفه المتعددة في المشهد الدولي المعقد، وهو في مهامه في توفير سُبُل الوصل الدولي بين العواصم الكبرى مع الجماعات "المقاومة" في أفغانستان والعراق وسوريا والفلبين... وفلسطين، يمتهن ما يؤكد أن العالم يعمل وفق جدلية خبيثة في العلاقة بين النظام الدولي وأضداده.

على أن جديد مهام الدوحة المطلوبة إسرائيليا وأميركيا، وربما من قبل ورشة جاريد كوشنر ودوائره، أنها مهام لا تعاندها رياح في المنطقة، حتى رياح خصوم الدوحة، على نحو يوحي بأن قطر في هذا الصدد بالذات لا تمارس نشازا عن ترانيم مازالت تنفخ بها وستنفخ بها صفقة القرن الشهيرة.